

المصباح

١٣١٥

مصر في يوم السبت ٢٧ شعبان سنة ١٣١٧ الموافق ٣٠ ديسمبر (كانون ١) سنة ١٨٩٩

﴿ بقية الكرامات الماثورة ﴾

(وهي السادسة من مقالات الكرامات)

خلاصة مامر في مقالات الكرامات السابقة جائرة وفاقا لأهل السنة - ولا ينبغي ان ينزع في هذا عاقل - وان الوقوع بالفعل لا يثبت الا بالنقل الصحيح عن المعصوم أو المشاهدة فان تواتر كان الثبوت قطعيا لا يمكن للعارف به جحوده والا كان ظنيا . وان مثبت الوقوع احتجوا بالقرآن العزيز وقصارى ماسلم لهم من احتجاجهم هو وقوع الالهام الالهى الصحيح وبما يؤثر عن الصحابة عليهم الرضوان وقد بحثنا في خمس مما أحصاه السبكي وأرجأنا البحث في الباقيات خشية السامة من تكرار الكلام في موضوع واحد كما قلنا في المنار ٣٥ وليس في هذا القسم متواتر وانما هي آحاد منها ما سنده صحيح ومنها الواهي والتكر ودونكم الآن سائر تلك الآثار

(٦) وبما وقع على يد الفاروق قصة النار الخارجة من الجبل . قال السبكي كانت تخرج من كهف في جبل فتحرق مامرت به فخرجت في زمن عمر رضى الله تعالى عنه فامر أبا موسى الأشعري أو تميم الداري (عليهما الرضوان) ان يدخلها الكهف فجعل يجرها بردائه حتى أدخلها فلم تخرج بعد قال ولعله قصد بذلك منع أذاها أقول لأعرف لهذا الأثر سندا قويا ولا ضميما ولا يخلو خروج هذه النار من ان يكون بسبب أو بغير سبب فان كان الثاني فهو خارقة من الخوارق فكيف وقعت تلك الخارقة وهل كانت كرامة لصحابي أو ولي آخر غير معروف ثم زالت بكرامة آخر أم

تقع الحواريق بنفسها ؟ وان كانت بسبب ما هو ذلك السبب وأين ذلك الكهف وهل لتلك النار من أثر فيه ؟ إذا وقفنا على أجوبة صحيحة لهذه الأسئلة تكلم عنها زمن الحياقة أضاعة الوقت في إيراد الاحتمالات الخيالية والحوض فيها مع الخائفين

(٧) ومنها انه عرض جيشا يبعثه الى الشام تعرضت له طائفة فاعرض عنهم أولا وثانيا والثالثين بالآخرة انه كان فيهم قتال عثمان أو قتال علي (رض) وهذا من الألفاظ

(٨) على يد عثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه . قال النبي دخل عليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأمها فقال له عثمان (يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا فقال الرجل أوحى بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ولكنهم فراسة المؤمن) أقول ان هذه الفراسة من قبيل الألفاظ التي أثبتناه ولكن يتفق مثله لأحد الناس . أذكر ان شابا جاءني وأنا في ميضأة جامع القمامون (بلدي التي ولدت فيها وهي بجوار طرابلس الشام) حائرا عن ذراعي أريد التوضوء ففاجأته بحكاية هذا الأثر فقال انها لمكاشفة وأناي كنت في الطريق أغازل امرأة وأمتع نظري بمحاسنها فتأت كذا لا مكاشفة وإنما هو شيء وقع في قاي عند ما رأيتك وما أنا مما كان معك على يقين . وستكلم على المكاشفة والفراسة في مقالة أو مقالات في وقت ما

(٩) على يد علي المرتضى أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه . قال روي ان عليا وولديه الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم سمعوا قاتلا يقول

يا من يحيب دعا المضطر في الظلم	يا كاشف الضر والبلوي مع السقم
قد نام وفدك حول البيت واتهموا	وأنت يا حي يا قيوم لم تتم
هب لي بجودك فضل المفوع عن زلي	يا من اليه رجاء الخالق في الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ	فمن يجود على العصاة بالنعيم

فقال علي لولده اطاب هذا القائل فاتاد فقال له أجب أمير المؤمنين فاقبل بجر شقه حتى وقف بين يديه فقال قد سمعت خطابك فما قصتك فقال أبي كنت رجلا مشغولا بالطرب والمعصيان وكان والدي يعاقبني ويقول ان لله سطوات ونقعات وما هي من الظالمين بعيد فلما ألح علي في المعصية ضربته فحانف ليدعون علي ويأتي مكة مستغيثا الى الله ففعل ودعا فلم يتم دعاء حتى كتبت شقي الايمن (كذا) فدمت على ما كان مني وداريته فارضيته الى ان ضمن لي ان يدعو لي حيث دعا علي ففقدت له ناقة وأركبته ففترت

ورمت به بين صخرتين فمات هناك فقال له علي رضي الله عنه آله عليك ان
كان أبوك رضي عنك فقال آله كذلك فقام علي كرم الله وجهه وصلى
ركعات ودعا بدعوات أسرها الله عز وجل فقال له يامبارك قم فقام ومشى
وعاد الى الصحة كما كان ثم قال لولا انك حلفت ان أباك رضي عنك
مادعوت لك - قال البكي - قات أما الدعاء فلا إشكال فيه اذ ليس فيه
اظهار كرامة ولكننا نبحت في هذا الاثر في موضعين أحدهما فيما نحن بصدد
من السر في اظهاره كرم الله وجهه الكرامة في قوله قم فنقول لعله لما دعاذن
له ان يقول ذلك أوراى ان قيامه موقوف باذن الله تعالى على هذا المقال فلم
يكن من ذكره بد والثاني كونه صلى ركعات ولم يقتصر على ركعتين فنقول
ينبغي للداعي ان يبدأ بعمل صالح يتنور به قلبه ليعضد الدعاء ولذلك كان
الدعاء عقيب المكتوبات أقرب الى الاجابة - وأقل الصلاة ركعتان فان حصل
بهما نور وأشرقت علام القبول فالاولى الدعاء عقيبها والا فايصل الى ان
تلوح له امارات القبول فيعرض اذ ذلك عن الصلاة ويفتح الدعاء فانه
أقرب الى الاجابة اه ملخصاً

أقول لأعرف راوي هذا الاثر ولا درجة استاده في القوة والضعف
ولا أنكر انه يجوز ان يستجيب الله تعالى دعاء بعض عباده بمحض قدرته أو
بان يجعل سبب الامر الذي يطلبه مقارنا للدعاء أو عقيبها فيحصل المطلوب .
والامر المحبوب اذا حصل بسبب خفي أو جلي عند طلبه من الله تعالى
يسمى حصوله استجابة اذ لم يشترط أحد في الاستجابة ان تكون بوجه
مخالف لسنة الله تعالى في الخلق . وقد يكون سبب شفاء المرض تأثيراً أو تأثيراً
روحانياً والتأثير قد يكون بسبب الاعتقاد سواء كان حقاً أم باطلاً واما تأثير

نفس في أخرى فأنا أعتقد أنه سنة الهيبة في الناس وإن أنكره كثير من الحكماء والعلماء وقد يكون بأعمال تعين عليه كالصلوات والاذكار مع الخشوع والاستحضار فإن ذلك يجمع المهمة ويقوي المزية والارادة على ما توجه اليه النفس وصاحبه يشعر من نفسه بان له هذا الأثر ولذلك يأتي بما يدل عليه قيل حصوله ومنه الاصابة بالعين . وهذا النوع مما نقل عن جميع الملل . ورأيت الشعراني وغيره من المتصوفة يثبته حتى لو شني الهند وهو بحث فلسفي دقيق سنوفيه حقه من البحث في وقت آخر ان شاء الله تعالى

(١٠) على يد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر السبكي قصة الاستسقاء به عام الرمادة في زمن عمر (رض) وكيف ان الله أغاثهم بالمطر سريعا . أقول عام الرمادة هو عام ثمانى عشرة وسمي بذلك لان الارض اغبرت اشدة الجذب . والأثر في هذا عند البخاري وغيره قال القسطلاني في الشرح كان من دعاء العباس ذلك اليوم اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وهذه أيدنا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا النيث فأرخت السماء مثل الخيال حتى أخضبت الارض وعاش الناس . ولينا أمل أهل القهم قول العباس عليه الرضوان فهو عبرة لمن يعقل . وذكر السبكي بمناسبة استجابة الدعاء بالاستسقاء ما كان مشهورا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من استجابة دعائه

(١١) على يد ابن عمر رضي الله عنه . وذكر انه قال الاسد الذي منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وتنحي وذهب . أتول ينقل مثل هذا الأثر عن أهل البوادي والضاربين في القفار ويقولون ان من شنشنة الاسد وعاده ان يعف عن يقابله بالسكينة والوقار ويلقاه بالملق والاعتبار ولهم في

هذا حكايات يتراءى لمن نظر في مصادرها المختلفة انه لا بد ان يكون لها أصل . ولا شك ان أحدا من المصدقين بتلك الحكايات لا يعدها خوارق عادات . على اني اذا ثبت عندي أثر ابن عمر رضي الله عنهما « بسند صحيح فاني أعنده كرامة أكرمه الله تعالى بها بالهام الاسد التنجي عن الطريق ولكن لأقول ان فيه مخالفة لله تعالى في الخلق فان مثل هذه الالهامات بخلاف ما تقتضيه العادات الطبيعية الغالبة معهود في العجاوات وفي الانسان أيضا ويمسر على الحكيم ادراج الكثير منها تحت ناموس طبيعي غير الالهام » (١٢) (على يد الملاء الحضرمي وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة بجيش فجال بينهم وبين الموضع البحر فدعا الله تعالى ومشوا على الماء) . هذه عبارة السبكي وهي صريحة في ان الكرامة حصلت لكل واحد من الجيش ولو كانت هذه القصة واقعة لتفقت بالتواتر ولرواها أصحاب الصحاح جميعهم . ثم أين ذلك الموضع وما هو البحر الذي يحول بينه وبين المدينة ؟؟

(١٣) ماجاء انه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما صحيفة طعام فسبحت حتى سما التسبيح . أقول تسبيح الله تعالى تنزيهه عن كل مالا يليق بكماله وقد نطقت به العوالم العلوية والسفلية أي دلت عليه بذواتها وأصواتها « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » . وذهب بعض الناس الى ان كل شيء يسبح لله بلسان المقال ولو كان هذا هو الواقع لقال تعالى ولكن لا تسمعون تسبيحهم ولم يقل (لا تفقهون) . ثم ان الله تعالى لا يبطل سنة من سنن الكون الا لحكمة بالغة كاعذار الامم بآية على يد نبيهم ليؤمنوا فينجوا أو يصروا على العناد فيهلكوا بنزول العذاب فما الحكمة بوقوع هذه

الحارقة لرجلين من أقوى الصحابة إيماناً وآية القرآن الذي يتلونه تملو عندهما على جميع الخوارق والكناز ياحون بطاب الآيات الكونية من النبي صلى الله عليه وسلم والله يأمره بان يتلو في جوابهم) أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . ثم من الذي حدث منهما بهذه الكرامة مع ان الاصل الذي عليه السبكي وغيره انه يجب اخفاء الكرامات ؛ واذا قيل انها حدثا بها التقوية ايات بعض الناس تقول وهل يقوى الا ايمان من سمع باذنه ؛ اذا كان لهذا الاثر اصل فهو انهما كانا يتكلمان في دلالة الكائنات على تنزيه مبدعها وغفلة القلوب الضالة عن هذا فتالا ما مثاله ان هذا الطعام يسبح لله أو انا نسمعه يسبح الله ومثل هذا التعبير من المجازات الشائعة في اللغة يسندون النطق الى الديار والآثار . وينظفون ذلك بالاشعار . أو انها تمكن هذا المعنى من تفسيرها كان يتجلى لها في كل شيء . وقد وقع مثل هذا الكثير من المشاق « والذين آمنوا أشد حبا لله »

(١٣) ماشتهر ان عمران بن حصين رضي الله عنه كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اکتوى فأنحبس عنه ذلك ثم أعاده الله عليه . أقول تقدم في الكلام على كرامة مريم المدراء عليها السلام ان سماع كلام الملائكة بالالهامات الصحيحة والمعارف الالهية قد يكون كرامة لأصحاب النفوس الزكية والارواح القدسية وهو من سنن الله في الخلق لامن مبطلاتها أو مبدلاتها . ولا مانع من ثبوته لهذا الصحابي الجليل

(١٤) ماشتهر من قصة خالد بن الوليد في شرب السم وعدم اضراره به . أقول ان مقدارا من السم يقتل رجلا ضعيفا المزاج أو معتداه ربما لا يقتل قوي المزاج وأعرف رجلا تسمم دمه بالصد يدونجا منه وقال له الأطباء

لا نعرف في النيرك وأعرف رجلا آخر كانت لسعه الافاعي قتموت هي ولا يصيبه
 منها اذى وقع له هذا غير مرة فادا ثبت ان ما شر به خالد رضي الله تعالى عنه
 من السم كان كافيا لاهلاكه ولم يهلك فلا شك انه يكون من الخوارق
 الخارجة عن سنن الله تعالى المطردة في الحقائق . ويعلم الله ان غرضي من فتح
 باب التأويل الحافظة على دين الله تعالى وارشاد عباده الى التمييز بين الحقائق
 والاهوام . فان القرآن العزيز أيد العقل والاختبار بل لهذا الكون سننا
 لا تبدل لها ولا تحويل . وما كان لمؤمن ان يهدم هذه الاركان الثابتة
 بحكايات أكثرها لم ينقل بسند معروف صحيح يوجب الظن بوقوع
 مضمونه . ولولا ان المحدثين (جزاهم الله أفضل الجزاء) اعتنوا بضبط أخبار
 السلف والبحث في أسانيدها لرأينا في الكتب الوفا من هذه الآثار التي لم ير
 منها الآن الا بضعة عشر أكثرها لا يعرف له اسناد محتج به . وستكلم على
 ما أجابوا به عن قلة كرامات الصحابة عليهم الرضوان وكثرة كرامات من
 بعدهم في مقالة أخرى ان شاء الله تعالى

✽ تقرير فضيلة مفتي الديار المصرية ✽

(في اصلاح المحاكم الشرعية)

✽ اختصاص المحاكم الشرعية مادة ومكانا ✽

رأيت ان بعض القضاة يلبس عليهم الامر عند الخصم فيحكمون
 بعدم الاختصاص فيما هو متعلق بالمواد الشرعية كما وقع ان رجلا ادعى نشوز
 زوجته ليستقط نفقتها وأجرة سكنها وطلب الزامها باجرة المسكن الذي كان
 أعده لها بمقتضى حكم سابق مدة شهرين فحكم القاضي بعدم اختصاصه
 بالنظر في الايجار ظنا منه انه حق مدني محض مع انه مرتبط بالنشوز وسقوط